قراءة مساواتية لمفاهيم "الخلافة" و"الولاية" و"القوامة"*

أسماء المرابط (Asma Lamrabet)

ليس ثمة شك أن قضية النساء والمساواة بين الجنسين في الإسلام من أكثر القضايا المثيرة للجدل في السجالات المعاصرة، حيث تبدو مجسدة كافة أشكال التوتر الثقافي والاجتماعي والسياسي في عصرنا الحالي. ولكن أصوات النساء في هذا الصدد، وهن الأكثر اهتمامًا بهذا الموضوع، وتأملاتهن وتطلعاتهن، قد بقيت على مر الزمن مقموعة بفعل قوتين اثنتين: الأولى، التيارات الإسلامية التقليدية المتمسكة بتفسيرات جامدة للإسلام، الثانية، الأفكار الداعمة تمكين النساء التي ترفض أية مرجعية إسلامية بناء على فرضية أن الإسلام عامل محوري في تأسيس التمييز ضد النساء.

ولو أننا أردنا فتح النقاش حول هذا الموضوع لتعين علينا الابتعاد عن المسار المعتاد الذي يسلكه المفكرون الدينيون التقليديون، ولكن ذلك سوف يعني أيضًا أن نتخلى عن الرؤية الحصرية التي تشير إلى حداثة مجردة من أية مرجعية دينية. يبقى هذان المعسكران دائمًا في مواجهة عقيمة، وبينهما يجب علينا أن نصوغ رؤية جديدة، معاصرة وإصلاحية، ليست قادرة على إعطاء دفعة لتمكين النساء المسلمات فحسب، ولكنها أيضًا قادرة على إخراج هذا الموضوع من إطار التحليلات السطحية العتيقة التي تقدمها القراءات والدراسات المحافظة البالية.

وإذا سعينا إلى تحقيق ذلك يجب علينا أن نتجاوز نموذج النهضة الإصلاحي[1] الذي صُنفت فيه القضية تحت بند "مكانة المرأة المسلمة وحقوقها"، حيث إن ذلك لم يساعد على ترسيخ فكرة المعيار الذكوري في الإسلام فحسب، بل أدى أيضًا إلى إسباغ حقوق معينة على النساء معظمها في الغالب حقوق ثانوية، بل وإعطائها طابعًا مقدسًا. لم يعد مفهوم النهضة الإصلاحي

* كتب هذا الفصل بالفرنسية أولاً. وقد قامت أمينة شيباني وريتشارد تابر (Amina Chibani and Richard Tapper) بترجمته إلى الانجليزية. أما ترجمة آيات القرآن فترد من ترجمة عبد الله يوسف علي، ما لم يشر إلى غير ذلك. وقد قامت المؤلفة بترجمة كافة المصادر العربية الأخرى.

[1] يشير مصطلح "النهضة" إلى الفترة ما بين نهاية القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر في تاريخ الفكر العربي– الإسلامي، التي أعقبت قرونًا من الانحدار. وقد تمثل أحد مشروعات النهضة في التحرر الذي شمل مطالب النساء، ولكنه جاء في سياق الاستعمار وما بعد الاستعمار.

ملائمًا لسياق الحداثة المتعولمة الذي نعيشه الآن، حتى إن كان له فائدة في مراحل التطور السابقة. بل علينا أن نؤكد مرارًا أن النساء لا يملكن "حقوقا خاصة" أو "وضعا خاصًا" في الإسلام، ليست النساء "لآلئ" وزهورًا"، وهي الألقاب المتعالية التي غالبًا ما يستخدمها الخطاب الإسلامي في التعامل مع النساء باعتبارهن كائنات أضعف، ولكنهن كائنات مكتملات الإنسانية عليهن واجبات ولهن حقوق ولديهن آمال وتطلعات مثل كافة البشر.

علينا إعادة التعامل مع النص القرآني، وأن نقرأه من خلال إطار تفسيري يؤمن بتساوي البشر في الحقوق العالمية بما يتماشى مع معايير زماننا الحالي، تمامًا كما فعل العلماء في عصور سابقة منذ قرون طويلة حين أخذوا من القرآن ما سمح لهم به فهمهم الخاص وأفكارهم التي تشكلت بفعل ظروفهم التاريخية والاجتماعية والثقافية. ولو أننا بدأنا مشروع إعادة فهم القرآن بهذا الشكل، باعتباره نصًا مقدسًا، ولكنها قداسة تُبقيه مفتوحًا قابلًا للتأقلم مع الزمن وتغيراته، فسوف نتمكن من الوصول إلى مفاهيم محورية عن المساواة بين الجنسين من قلب رسالة القرآن، وهو ما سوف يمكّن المسلمين، بوصفهم مؤمنين وبشر يسعون إلى تجاوز حدودهم المادية، أن يحصلوا على المساواة بوصفها حقًا مطلقًا من حقوق الإنسان العالمية وقيمة الروحانية الأصيلة/ الجوهرية.

أتناول في هذا الفصل ثلاثة مفاهيم قرآنية تعكس رسالة الإسلام الروحانية، بيد أنه طالما أُسيء فهمها وتفسيرها بغرض الإبقاء على مبادئ غير مساواتية. هذه المفاهيم هي: "الاستخلاف" (أي المساواة في بناء الحضارة الإنسانية)، و"الولاية" (أي المسؤولية المشتركة بين الرجال والنساء)، و"القوامة" (أي تولي إدارة المجالين العام والخاص من قِبل الرجال والنساء). ونسعى، في إطار إعادة فهمنا هذه المفاهيم من منظور يتبنَّى قيمًا قرآنية محورية، إلى فهم رسالة الإسلام فيما يخص الرجال والنساء التي لا يمكن أن تنفصل عن قيم العدل والمساواة

أولًا– كيف نتعامل مع القرآن

إن القرآن في المقام الأول رسالة موجهة إلى الإنسانية بكل مجدها– وبكل نقاط ضعفها أيضاً. يؤكد مفهوم القرآن للإنسان، وللبشر أجمعين، بغض النظر عن الجنس والعرق والطبقة، أن

البشر قد خلقوا من أصل واحد،[٢] يعكسون جمال الله تعالى وكماله،[٣] والضعف الإنساني،[٤] وهم المخاطبون في النص القرآني برسالته الساعية إلى التطور الروحاني/ الأخلاقي والتحرر من كافة أشكال القهر.[٥]

ومن أجل تحقيق تلك الغاية فإن القرآن يرشدنا إلى ضرورة استرشاد الحياة الإنسانية بالقيم الأخلاقية الجامعة التي تكمن في قلب القرآن. تتمثل غاية وجودنا على هذه الأرض في تحقيق التوحيد، أي،[٦] هو ما يحدو بنا إلى الاستخلاف، الذي هو مسؤوليتنا الفردية عن أداء دورنا بوصفنا خلفاء لله في الأرض.[٧] ولكي نؤدي هذا الدور، علينا تحصيل قيم العلم،[٨] والعدل،[٩] والعقل،[١٠] وحرية المعتقد،[١١] والاختلاف (التنوع)،[١٢] والمحبة وتجسيد جميعها.[١٣] يتعين علينا إذًا فهم القوامة والولاية والعلاقات بين النساء والرجال وحقوق كل منهم اليوم من خلال هذه القيم القرآنية.

ولهذا لا ينبغي مناقشة القضايا المتعلقة بالنساء في القرآن عبر إخراج آيات منفردة مجتزأة من الكل القرآني، وهو ما يؤدى بنا إلى صياغة تفسيرات تكون أحيانًا بعيدة كل البعد عن قيم القرآن. ولكن علينا أن نضع تلك القضايا والآيات المتصلة بها في إطار معياري يسمح لنا بترتيب الأوامر والنواهي القرآنية وتصنيفها وفق أهدافها وغاياتها المطلقة.

---

[٢] الآية ١٨٩ من سورة "الأعراف": " هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ".

[٣] الآية ٤ من سورة "التين": " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ".

[٤] الآية ٢٨ من سورة "النساء": "يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا".

[٥] الآيات ٦ من سورة "الكافرون"، و٢٩ من سورة "الكهف".

[٦] الآيات ٥٦ من سورة "الذاريات"، و٢٥ من سورة "الأنبياء"، و١٠٨ من سورة "الأنبياء".

[٧] الآية ٣٠ من سورة "البقرة".

[٨] الآيات ٩ من سورة "الزمر"، و٤٣ من سورة "النحل"، و١ من سورة "العلق".

[٩] الآيات ١٧ من سورة "غافر"، و١٥ من سورة "الشورى"، و٩٠ من سورة "النحل".

[١٠] الآيات ٢٤٢ من سورة "البقرة"، و٢ من سورة "يوسف"، و٤٣ من سورة "العنكبوت"، و٤٦ من سورة "الحج".

[١١] الآيات ١٣٥ من سورة "الأنعام"، و٩٩ من سورة "يونس"، و٢٩ من سورة "الكهف".

[١٢] الآيات ١١٨ من سورة "هود"، و٤٨ من سورة "المائدة".

[١٣] الآيات ١٦٥ من سورة "البقرة"، و٥٤ من سورة "المائدة".

علينا أن نميز بين ثلاثة أنواع من الآيات القرآنية المتعلقة برسالة الإسلام الأخلاقية:

آيات ذات غايات مطلقة: تدعو هذه الآيات لقيم مطلقة مثل: العدل، والمساواة، والقسط، واحترام الكرامة الإنسانية، وهي تضع الإنسان في مركز الفلسفة الروحانية. وتأتي معظم آيات القرآن في صورة قيم عالمية تمثل أساس رسالة القرآن.

آيات ظرفية يتحدد تطبيقها بالسياق الذي أنزلت فيه: تأتي هذه الآيات مرتبطة بزمان ومكان محددين، أي شبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي، كاستجابة لمتطلبات معينة أملاها السياق، ولكنها متطلبات يمكن اعتبارها اليوم قد عفا عليها الزمن. ومن أوضح الأمثلة على تلك الآيات ما يتناول تقسيم غنائم الحرب والرق والعقوبات الجسدية. ولا تكمن أهمية تلك الآيات في معانيها الحرفية أو تطبيقاتها، ولكن في أهدافها وروح العدالة المتأصلة فيها.

آيات تحتاج إلى إعادة تفسير في ضوء السياقات الاجتماعية الجديدة: وتتمثل في الآيات التي تتناول قضايا النساء بطريقة متسقة مع التوقعات والبنى الأبوية التي كانت سائدة في "زمن الوحي". نجد أحيانًا أن مثل تلك الآيات التي تتناول الزواج والأسرة تدعم أفكارًا وممارسات تمييزية كانت سائدة وقتها، أو تقدم إصلاحات لهذه الممارسات دون أن تلغيها فعليًا.

يخلط معظم المفسرين بين أنواع الآيات الثلاثة هذه، حيث يعطون أولوية للآيات الظرفية أو تلك المعنية بأبعاد اجتماعية محددة على الآيات المطلقة، مما ينتج عنه إضعاف رسالة القرآن. بالإضافة إلى ذلك فإن فهم عدد محدود من الآيات فهمًا تقليديًا ومقصورًا على سياقاتها الثقافية، قد أضحى أساسًا للخطاب الديني السائد فيما يتعلق بقضايا النساء، بينما يسود الاعتقاد أن ما تبقى من الرسالة الربانية موجه إلى الرجال وحدهم.

لا يمكن فهم رسالة الإسلام الأخلاقية المتعلقة بالرجال والنساء، التي لا تنفصل عن العدل والمساواة سوى بتبني قيم القرآن الأخلاقية وتَمَثُّلها، إلى جانب الوصول إلى فهم عميق لعالمية آيات القرآن. ولو أننا تبنينا هذا الإطار لأمكننا إعادة تفسير المفاهيم القرآنية الثلاثة المهمة (الاستخلاف، والولاية، والقوامة) التي طالما أسيء فهمها.

ثانيًا– الاستخلاف أو المساواة في بناء الحضارة الإنسانية.

يكمن مفهوم الاستخلاص في قلب القرآن، إذ يشير إلى العلاقة الوطيدة التي تجمع الرجال والنساء بخالقهم. ويرمز هذا المفهوم بعامة لأسمى المهام الموكلة للرجال والنساء وهي بناء الحضارة الإنسانية على الأرض. ويرد مفهوم الاستخلاف في القرآن عدة مرات بأشكال مختلفة، تمكننا من استنباط ثلاثة معان لهذا المصطلح تبعًا للسياق الذي ترد فيه الآيات:

المعنى العام المتمثل في الخلافة، فالخليفة هو من يأتي خلفًا لأحد، أي من يتبوأ مكان أحد آخر في مجال ما (أمثلة الآيات: ١٦٥ من سورة "الأنعام"، و١٤ من سورة "يونس"، و٧٣ من سورة "يونس"، و٣٠ من سورة "البقرة"، و٢٦ من سورة "ص").

صيغة الجمع "خلائف" وتشير إلى أناس وقبائل بل وأجيال تتوالى (أمثلة الآيات: ٦٩ من سورة "الأعراف"، و٧٤ من سورة "الأعراف"، و١٥٠ من سورة "الأعراف"، و١٦٩ من سورة "الأعراف").

معنى الخلافة المرتبط بمسؤوليات تدبير أمور العالم التي استأمن الله البشر عليها. هنا نجد الآية ٣٠ من سورة "البقرة" ذات أهمية محورية لفهم الغاية من خلق البشر على الأرض: "**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**".

ويتفق أغلب المفسرين على أن "في الأرض خليفة" تعني بنى آدم أو الجنس البشري بعد أن قرر الله تعالى إعمار الأرض (ابن كثير ٢٠٠٣، مجلد ١، ص ٨٠). فقد كرم الله البشر أن أوكل إليهم تلك المهمة الرمزية المتمثلة في إدارة ما استأمنهم الله عليه: خلق الله.

إذًا تعد "الخلافة" امتيازًا للبشر على المخلوقات الأخرى، بمعنى أنهم قد فُضلوا على الملائكة والذين لم يرقوا إلى الاضطلاع بتلك المسؤولية الثقيلة على الرغم من تفوقهم الروحاني. ويتمتع البشر رجالًا ونساءً بالعقل، ولذا فقد اختارهم الخالق من أجل الاضطلاع بتلك المهمة الكبرى المتمثلة في إعمار الأرض وتنظيم أحوال وجودهم في هذا العالم. بمعنى آخر، إن مهمة البشر هي إدارة العالم بمسؤولية ووعي، وهي المهمة التي سوف يحاسبون عليها.

بناء على هذا، فإن الخلافة في القرآن تأتي مشروطة في الأساس بتلك المسؤولية الملقاة على البشر كافة على وجه الأرض. فالبشر خلفاء (ممثلين) ولكن ليس بالمعنى الحرفي الذي يذهب أنهم يمثلون الله فعليًا على الأرض، بل هم أوصياء على مهمة معينة: إنهم مسؤولون عن إدارة الحياة على الأرض.

ولكننا نجد أن مفهوم الخلافة قد تعرض على مدار تاريخ الحضارة الإسلامية للاستحواذ الديني على أيدي القوى السياسية مستندين على تشريع العلماء العاملين في خدمتهم للمفهوم. وهكذا تحول مفهوم "خليفة" من المعنى الروحاني للمسؤولية التي أوكلها الله لكافة البشر إلى معنى الممثل السياسي المنتخب، إلى من يفترض أنه الممثل القانوني في الأرض. وقد تحولت دلالة اللفظ السياسية التي أعطاها له الخلفاء الأولون من المجال السياسي إلى المجال الديني؛ حيث بارك العلماء استخدام لقب "خليفة الله"، مما شرع للحاكم "قداسة" من قد عينه الله. وقد ساعد ذلك على تأسيس ثقافة الخضوع المهين للحاكم. فبما أن للخلفاء سلطة ممنوحة من الله، إذًا يصبح عصيانهم مساوٍ لمعصية الله. لم يعد الأمر عقدًا بين الحاكم والمحكومين، بل أضحى سلطة دينية تأمر بطاعة الحاكم بصفتها حقًا إلهيًا. علاوة على ذلك، فقد أضحى من الطبيعي أن يقتصر منصب الحاكم على الرجال الذين يضطلعون بتلك المسؤولية المقدسة، وذلك نتاج الأنماط الاجتماعية الأبوية السائدة، مدعومة بتناقل أحاديث ضعيفة وأفكار كانت تروج أنها تعكس صفات الرجال والنساء "المتأصلة".

وقد جرى استغلال هذا المفهوم على مدى مراحل عديدة على مدار التاريخ والأحداث السياسية الجسام التي شهدتها البلاد الإسلامية؛ حيث تحول المفهوم من صيغته الروحانية، التي تؤكد على مسؤولية البشر كافة، إلى مفهوم روحاني وسياسي استخدمه الخلفاء الراشدون الأربعة بما تضمنه من معاني الخلافة السياسية والمسؤولية الجماعية، ثم إلى أداة من أدوات القهر يستخدمها قلة من الرجال، وذلك على أيدي الخلفاء اللاحقين.

لو أخذنا في الحسبان مفهوم "الإنسان" في القرآن، والقيم الأخلاقية القرآنية المحورية التي ذكرناها سابقًا، فسوف نضع أقدامنا على طريق إعادة اكتشاف المعنى الروحاني الأولي، والفهم الأصلي للخلافة، ألا وهو مسؤولية البشر جميعًا– رجالًا ونساءً– عن حياتهم على الأرض. ويتمتع

البشر، بالإضافة إلى هذه المسؤولية، بصفة أخرى هي "الحرية".[١٤] التي لا تنفصل عن صفة المسؤولية، لأنهما مفهومان مرتبطان بقيم أخلاقية مشتركة تجعلهما متلازمان.

ومن المهم التركيز على هذه الفكرة المحورية المتمثلة في الاضطلاع بمسؤولية العالم وإدارته كما يتحدث عنها القرآن في سياق السجال الدائر حول المساواة بين الرجال والنساء وانخراطهم الاجتماعي والاقتصادي في المجال العام. كما أن علينا فهم المساواة بين الرجال والنساء على أنها مساواة فيما يقابلها من المسؤولية والحرية، وذلك في مجالات: الاختيار، والعمل، والإدارة، وتقدم المجتمع والعالم. هذا هو المعنى الأساسي لكلمة "خلافة" في رسالة الوحي الذي يمثل أحد أعمدة الفهم المساواتي لمسؤولية الرجال والنساء وحريتهم في إدارة العالم، ومسؤوليتهم أمام الله الذي استأمنهم على ذلك.

ثالثًا– الولاية، أو مسؤولية الرجال والنساء المشتركة

ترد في القرآن آية محورية واضحة تؤسس لمفهوم المساواة بين الرجال والنساء:

"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ[١٥] وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ." ("التوبة": ٧١)

يرى البعض أنه قد حدث تهميش في الفكر الإسلامي لمثل هذه الآيات الواضحة التي تتناول قيمًا مطلقة تحث على المساواة بين الرجال والنساء. فنحن نجد أن تلك الآيات لا تُذكر كثيرًا، بل يتم أحيانًا تجاهلها تمامًا مقابل آيات أخرى من الأصعب تفسيرها أو يكون تطبيقها مرتبطًا بوقت التنزيل.

[١٤] يتناول دياني (Diagne) (٢٠٠٨) هذه الحرية التي منحها الله للبشر قائلاً: "تعترف نصوص القرآن المتعلقة بخلق البشرية بأن البشر مضطلعون بكنز ثمين لا يملكه سواهم: الحرية" (ص ٢٠).

[١٥] تشير كلمة "المنكر" إلى كل ما يرفضه أفراد مجتمع ما– أي مجموعة من الممارسات غير المقبولة أخلاقياً. وفى تتبعنا لمعاني القرآن نجد كلمة "منكر" نقيض كلمة "معروف" أو ما اتفق عليه من الخير.

يشير لفظ "أولياء" في هذه الآية، وهو جمع "وليّ"، إلى التحالف والمعاونة والدعم المتبادلين. و"الوليّ" أحد صفات الله التي تعنى من يعزز ويحمى ويدعم. وتعني الكلمة، في الاستخدام الشائع، الشخص الذي يدير شؤون شخص قاصر ولديه القدرة على رعايته، أي الشخص الذي يقوم بدور الوصي على شخص ما أو شيء ما، ومن ثم الشخص الذي باستطاعته إدارة أمور الدولة وتنظيمها وأمور أخرى والاضطلاع بمسؤوليتها. وهناك كلمات أخرى مشتقة من المصدر نفسه مثل "الولاء"، التي يمكن أن تعني القرب والصداقة والوفاء والإخلاص. كما أن هناك لفظة "الولاية" التي تشير في السياق القانوني إلى أعلى مراتب الحكم السياسي، التي يطلق عليها فقهاء المسلمين عبارة "الولاية العامة". وتندرج عدة أنماط من الولاية تحت هذه الفئة مثل: الخليفة، والقاضي، والمحتسِب.[١٦]

تبدأ الآية ٧١ من سورة "التوبة" بصيغة أمر شامل يدعو الرجال والنساء إلى تقديم الدعم لبعضهم من خلال تحالف روحاني وعاطفي مبني على الإيمان بالله ورسوله. تتمثل تلك الرابطة الخيّرة في كلمات مثل "أولياء"– أي حلفاء بعضهم البعض– حيث تصبح الرابطة بين الرجال والنساء رابطة سابقة على مرحلة الوعي، يكون فيها أحدهم جزءًا من الآخر في رباط من التشارك والتناغم. وتؤلف هذه الولاية بين القلوب والأفعال وتتيح المساواة بين الجنسين. ويمكن ترجمة تلك المساواة في حياتنا اليومية في أفعال ملموسة من التضامن الإنساني، حيث يكون معيار التقييم هو النزاهة والاستقامة الأخلاقية.

وبالرغم من أن تلك الأفكار شديدة الوضوح، إلا أننا لا نجدها في التفسيرات التقليدية، حيث تم تفسير هذه الآية بصورة فضفاضة. بل إننا في الواقع نجد ذلك الحث الواضح على المساواة بين الرجال والنساء، وعلى الأخص فيما يتعلق بإدارة المجال العام أو الاجتماعي والسياسي، غائبًا تمامًا عن التفاسير التقليدية.

صحيح أن التفاسير التقليدية في عمومها تعترف بالمساواة الروحانية بين الرجال والنساء كأمر أساسي في الإسلام، وأن هذه المساواة الروحانية مبنية في المقام الأول على العبادات والثواب والعقاب في الآخرة، ولكن تبقى تلك الصورة من المساواة هي الصورة الوحيدة المعترف بها، حيث

[١٦] راجع مسعود (Masud) (٢٠١٣)، لمطالعة المزيد حول المعاني المرتبطة بمصطلحات "القوامة" و"الوليّ"، بما في ذلك الإشارات القرآنية.

نجد معظم المفسرين يسعون إلى الوصول إلى صيغة وسطية بين المساواة بين الجنسين في مجال العبادات من جهة، والتراتبية ومفاهيم الأدوار التكاملية للنساء في الأعراف السائدة فيما عدا ذلك. ولطالما كانت تلك التكاملية تفهم أنها انعكاس لفصل تقليدي للأدوار داخل الأسرة وكذلك في الحياة العامة، حيث تحدد للنساء أدوار ثانوية تبعية بالمقارنة بأدوار الرجال. وهكذا فقد فسر معظم العلماء هذه الآية أنها إحدى الآيات التي تنص على المساواة الروحانية وبخاصة في العبادات، لاسيما أن الجزء الثاني من الآية يذكر الصلاة والزكاة.

ولكن هذه الآية تتضمن في لبها توصية ذات أهمية قصوى، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي نجدها بوضوح في صورة بند مستقل بذاته يسبق التوصيات المرتبطة بالعبادات. بمعنى آخر، يصف القرآن المؤمنين والمؤمنات المثاليين أنهم، في المقام الأول، أناس يتعاونون، بصورة مساواتية، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع بعامة، ثم إنهم بعد ذلك أناس يؤدون العبادات والصلاة والزكاة في وحدة وتضامن مشترك.

كان ابن كثير (٧٣-١٣٠١) أحد المفسرين القلائل الذين لفتوا الانتباه إلى فكرتين مهمتين في هذه الآية، حيث أشار أولًا إلى أن الولاية التي تتحدث عنها الآية هي ذلك التحالف بين الرجال والنساء بعضهم البعض، التي تأتي مطابقة للتحالف الذي يصفه نبي الإسلام في حديثه الشهير الذي يؤكد فيه أن "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى" (ابن كثير ٢٠٠٣، المجلد ٢، ص ٣٥٠). يلخص هذا الحديث الصحيح وحده، من خلال استعارة تستخدم جسم الإنسان، مظهرًا أساسيًا من مظاهر العلاقات بين البشر، أي وعي كل إنسان بالآخر بصورة مستمرة لا تنقطع. كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يحاول في هذا الحديث أن يرشد المؤمنين والمؤمنات إلى القيمة الإنسانية السامية المتمثلة في التراحم والتعاطف، التي يصعب من دونها أن نتحدث عن حياة مشتركة.

وتأتي ملاحظة ابن كثير الثانية التي لا تقل أهمية عن الملاحظة السابقة متمثلة في قوله إن الأمر بالمعروف هنا يأتي مطابقًا للأوامر الواردة في الآية ١٠٤ من سورة "آل عمران" التي يقول فيها المولى عز وجل: "**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**". يرى معظم العلماء أن هذه الآية تقدم أحد أهم المبادئ القرآنية،

وتؤكد على إحدى غايات الإسلام الأساسية: إرساء العدالة والمصلحة العامة في المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان أو الجماعة الصغيرة التي يحيا بينها.

ويرد هذا الحث على الأمر بالمعروف في مواضع أخرى في القرآن، (على سبيل المثال الآيتين ١١٠، ١١٤ من سورة "آل عمران). كما أن الرسول كان يجيب دومًا حين يسأل عن أفضل المسلمين أنه "آمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر" (الزمخشري لا يوجد تاريخ، المجلد الثاني، ص ٣١٥). وهكذا فقد كان هذا الأمر موضع الكثير من التفسيرات التي قدمها المفسرون.

لافتٌ أن هذا المبدأ القرآني المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي يطابق الأمر الموجود في آية الولاية، قد ورد تحليله بصور متباينة في عدة تفاسير. وتعتبر معظم التفاسير أن هذا الأمر القرآني في غاية الأهمية، حيث إنه يمكّننا من قياس درجة التزام كل فرد ببناء مجتمع عادل ومساواتي بناءً على مدى تطبيقه الآية في الواقع الاجتماعي المعيش. ويكاد المفسرون يجمعون على أن هذا الأمر يمثل جزءًا من توجه سياسي واجتماعي أكبر يحث المسلمين على التمسك بالقيم الأخلاقية واحترام الآخر، وأن ينفتحوا على العالم، ويسعوا إلى المعرفة ما داموا أحياءً، ويتوخوا المصلحة العامة، ويتحروا الفطنة، ويرفضوا الظلم بكافة أشكاله، وألا يلتزموا الصمت في مواجهة القهر أو التمييز الاجتماعي والسياسي. هكذا تقدم معظم النصوص التأويلية الكلاسيكية فهمًا لهذا الأمر على أنه التزام بالفاعلية الاجتماعية والسياسية المفروضة على المجتمع بأسره أو النخبة فيه، ضمانًا للحد الأدنى لتحقيق العدالة الاجتماعية والرخاء داخل المجتمع.

ولكننا مع ذلك نجد أن الأمر الوارد فيما يتعلق بالولاية والتحالف بين الرجال والنساء في الآية ٧١ من سورة "التوبة" لا يتّبع التفسيرات نفسها إلا في حالة ابن كثير الذي يشير باقتضاب لوجود تفسيرات أخرى ممكنة. تذكر الآية بوضوح الرجال والنساء بصيغة المساواة الروحانية، مؤكدة على أن الرجال والنساء مضطلعون على حد سواء بالعمل الاجتماعي والسياسي من أجل تحقيق العدالة الاجتماعية. ولكننا نجد المفسرين في تناولهم لهذه الآية يقتصرون بعامة على المساواة الروحانية بين الرجال والنساء، وليس على مسؤولية الرجال والنساء المتساوية في "الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر". وعندما نجد آيات أخرى توجه الأمر نفسه للنساء أو للمؤمنين بعامة (مثل الآيات: ١٠٤، ١١٠، ١١٤ من سورة "آل عمران")، نجد المفسرين يفسرونها بوصفها توصية للوصول إلى العدالة الاجتماعية فيما يتعلق بالرجال فقط، بالرغم من وجود اتفاق بين العلماء أن

لفظة "المؤمنين" أو "الناس" تشير إلى الرجال والنساء كليهما، وأن تلك الأوامر والنواهي تتعلق بالرجال والنساء على حد سواء.[١٧]

بيد أن الآية ١٧ من سورة "التوبة" تأتي واضحة دون لَبْس: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ". هنا يؤكد القرآن بشدة على هذا التعاون الوثيق أو الولاية بين الرجال والنساء في الفاعلية الاجتماعية والسياسية قبل أن يصوغها في تعميمات متمثلة في أشكال العبادات المختلفة.

وقد عاد بعض المفكرين الإصلاحيين إلى هذا المعنى الأصلي مؤكدين على أن القرآن يدعم دون مواربة المشاركة الاجتماعية والسياسية المشتركة من الرجال والنساء. فعلى سبيل المثال يفسر المصلح اللبناني رشيد رضا (عاش في مصر) (١٩٣٥-١٨٦٥) الآية ٧١ من سورة "التوبة" كما يلي: "في الآية فُرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على النساء والرجال ويدخل فيه ما كان بالقول وما كان بالكتابة، ويدخل فيه الانتقاد على الحكام من الخلفاء والملوك والأمراء فمن دونهم. وكان النساء يعلمن هذا ويعملن به" (أبو شقة (Aboû Chouqqa) ٢٠٠٧)، المجلد الثاني، ص ٦٤٦). ويقول العالم السوري أحمد كفتارو (٢٠٠٤-١٩١٢): "الخطاب للمؤمنين والمؤمنات، الله ذكر المؤمنات مع أن (المؤمنون) تشمل الذكورة والأنوثة لأن الله لم يهمل المرأة". أما العالم اللبناني الدكتور سيد محمد حسين فضل الله (Sayed Muhammed Huseein Fadlallah) (١٩٣٥-٢٠١٠)، فيقول في تفسيره لهذه الآية: "بمجرد وصولنا لفهم فكرة أن العدل يمثل كل ما هو إيجابي في الحياة، وأن الشر يمثل كل ما هو سلبي فيها، فسوف ندرك أن الرجال والنساء شركاء في بناء الحياة. ومثلما أن الرجال مسؤولون عن المجتمع، فإن النساء كذلك مسؤولات عن المجتمع الذي يعشن فيه. ولهذا... فهناك مجالات رحبة في انتظار تحركات الرجال والنساء، حيث يبنون الحياة جنًبا إلى جنب، يدًا بيد بوصفهم بشراً متساوين في إنسانيتهم" (فضل الله n.d.a).

ولو أننا حاولنا التعامل مع مفهوم الولاية من خلال قراءة تأخذ في الحسبان السياق لوجدنا فيه ما يدلنا على إطار للمواطنة المساواتية، إذ تصبح دعوة القرآن للرجال والنساء لتحمل المسؤولية

[١٧] كتَبَ يوسف القرضاوي (Yusuf al-Qaradawi) (١٩٩٨)، على سبيل المثال، قائلًا إن الله يخاطب الرجال والنساء عندما يقول "يا أيها الناس" أو "يا أيها الذين آمنوا".

المشتركة في الإدارة السياسية للمجتمعات التي يعيشون فيها مساوية للمبدأ الديموقراطي المهم، الذي يتطلب من المواطنين جميعهم قدرًا مساويًا من المسؤولية. وهكذا يمكننا فهم مفهوم الولاية على أنه المرادف لفكرة المواطنة المساواتية في المجتمعات المسلمة.

وعلى مدار تاريخ الحضارة الإسلامية، نجد أن هذا معنى الولاية الذي يدعِّم فكرة المشاركة الاجتماعية– السياسية قد تلاشى جراء تعاقب الأنظمة الاستبدادية التي حكمت المجتمعات والدول المسلمة لفترات طويلة من الزمن. وهكذا فقد انحسرت الأبعاد السياسية والفكرية لهذا المفهوم المطلق وتركزت داخل مساحة صغيرة خاصة بالطقوس الدينية (الولاية الدينية) (العروي ٢٠٠٨، ص ١٥٨). ولا يدرك العديد من المسلمين أن الإسلام يسمح أن يكون لهم القول في إدارة شؤونهم الدينية والسياسية، بل نجدهم ينشؤون على ممارسة دينهم وعلاقاتهم بالسلطات التي تحكمهم ويفهموها في إطار من الخوف والطاعة العمياء.[١٨]

ويمكننا أن نستخدم المفهوم القرآني "الإنسان" وفهمنا لعالمية الآية ٧١ من سورة "التوبة" للوصول إلى مفهوم الولاية في معناه الأشمل الذي يتطلب من كافة البشر أن يلوذوا بشكل مساواتي بكل ما يؤتي ثمارًا إيجابية على المجتمع، وهو أمر يمثل المواطنة السياسية كما يمثل المواطنة في صيغتها اليومية. والأهم من هذا أن تلك الدعوة مساواتية للرجال والنساء على حد سواء ليضطلعوا بمسؤولية تغيير مجتمعاتهم.

ويلاحظ أن الفكر الإسلامي لم يقدر هذه الآية والأفكار المساواتية التي تؤكد عليها–مثل: الولاية، والشراكة، السياسية، والمواطنة، والفاعلية السياسية الداعمة للمصلحة العامة– ويقدرها التقدير الملائم كما هو الحال كذلك مع مبادئ أخرى أتى بها القرآن، وبخاصة لو قارنا ذلك بمبادئ ومفاهيم أخرى تعد ثانوية في القرآن، ولكنها مع مر الزمان أضحت من الأولويات لدى أعداد غفيرة من المسلمين بسبب رواج الأيديولوجية الحرفية في التعامل مع القرآن.[١٩] وهكذا فقد جرى إغفال هذه الآية طويلًا حيث فسرها معظم العلماء المسلمين أنها آية أخرى من آيات المساواة بين الجنسين في

[١٨] راجع الطرح الهام الذي تطرحه فاطمة مرنيسي (Fatima Mernissi) (٢٠١٠): "ربما يكون الإسلام الدين السماوي الوحيد الذي لا يحبذ أتباعه تناوله بصورة علمية، بل ويحرمون ذلك أحيانًا، ذلك أنه لو تم تناول وتحليل الإسلام بعقلانية لأضر ذلك بمصالح المستبدين الرامين إلى إخضاع الآخرين.. إنه الخوف من الإمام" (ص ٧٣).

[١٩] من أمثلة تلك المفاهيم الثانوية في القرآن قضية اللباس المناسب (فيما يخص الرجال والنساء)، التي تم اختصارها في قضية واحدة هي حجاب النساء، هي قضية قليلة الأهمية إذا ما قورنت بمبادئ قرآنية أخرى مثل "الولاية".

العبادات. ولكن علينا في عصر الديموقراطيات العالمية المعاصر أن نعيد قراءة هذه الآية، ونعيد صياغة المبادئ التي تكشف عنها، وبخاصة في علاقتها بالمجتمعات الإسلامية المعاصرة ودلالتها عليها.

كما أنه من الضروري أن يستعيد مفهوم الولاية أهميته ومركزيته في العلاقات بين الرجال والنساء، كما ينبغي إعادة قراءة كافة المفاهيم القرآنية الأخرى المتعلقة بالنساء وإعادة تعريفها في ضوء مفهوم الولاية، حتى يتسنى لنا أن نكتشف الروح المساواتية المتأصلة في رسالة الإسلام الروحانية ونستعيدها، وهو الشرط الأساسي الذي سوف يتيح لنا في سياقنا المعاصر تحليل وفهم ما بقي من الأسئلة التي تدور حول الرجال والنساء والتي يرتبط العديد منها بسياق زمني محدد.

القوامة أو إدارة المجال العام والخاص من قبل الرجال والنساء

يستخدم مفهوم القوامة في القرآن 'بوصفه دليلًا' على تفوق الرجال على النساء، حيث أضحى في فكر الفقهاء والعوام على حد سواء دلالة على سلطة الرجال، وهو ما يعد أحد أبرز المفاهيم الخاطئة التي شكلت الفكر الإسلامي على مر القرون، حيث يفترض أن القرآن قد أقر قطعيًا بسلطة الزوج المطلقة على زوجته، بل وكما يرى البعض، بسلطة الرجال كافة على النساء كافة.

تأتى كلمة "قوامة" من اللفظتين القرآنيتين "قوامون" و"قوامين"، وهما صيغتا جمع للاسم "قوام"، الذي يشتق بدوره من المصدر "قام"، الذي يحوي قرابة ثلاثين معنىً في اللغة العربية: "يقوم من جلسته"، "يلتزم بأمر ما"، "يحمل"، "يتحمل"، "يمضي (في فعل شيء)"، "يرتفع"، "ينفق على"، "يثور"، "يكابد"، "يرفع (شيء ما)" إلخ. وترد لفظتا "قوامون" و"قوامين" اللتان تشيران إلى النجاح في أداء فعل "قام" في ثلاثة مواضع في القرآن.

تعد الآية التالية أشهر الآيات التي يقال إنها تسوغ لتميز الرجال وأكثرها شيوعًا:

"الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا." (سورة "النساء" الآية ٣٤).

أما الآيتان الأخريان اللتان يرد فيهما اللفظ هما:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا." (سورة "النساء" الآية ١٣٥).

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ." (سورة "المائدة" الآية ٨).

انطلاقًا من هذه الآيات نجد للقوامة بُعدين، أحدهما عام: "قوامة عامة"، والآخر خاص: "قوامة خاصة" (عزت (Ezzat) ٢٠٠٠). تستخدم الآية الأولى "قوامون" فيما يتعلق بالعلاقة بين الرجال والنساء فيما يوصف بالمجال "الخاص". أما الآيتان التاليتان فتستخدمان لفظ "قوامون" للإشارة إلى المؤمنين كافة فيما يمكن اعتباره المجال "العام". وقبل أن أتناول بالتحليل الآية التي تشير إلى سلطة الرجال المزعومة في المجال الخاص، أشرع هنا في تحليل القوامة كما ترد في الآيتين التاليتين اللتين تتوجهان إلى الرجال والنساء كليهما في المجال العام. ويتعين علينا في تحليلنا للآيات الثلاث أن نستخدم منهجًا يحترم المفهوم القرآني للإنسان والترابط الداخلي وسياق آيات القرآن.

القوامة في المجال العام أو القوامة العامة

يتفق معظم المفسرين على أن الآية ١٣٥ من سورة "النساء"، والآية ٨ من سورة "المائدة" تدعو المؤمنين والمؤمنات إلى احترام قيم جوهرية مثل: العدل، والقسط، والنزاهة في كافة أفعالهم وأحكامهم. ويرد الأمر نفسه في الآيتين: "كونوا قوامين بالقسط" في الآية الأولى (أي كونوا ثابتين وصارمين في تطبيقكم للعدل)، وفي الآية الثانية "كونوا قوامين لله شهداء" (أي كونوا واضحين ومحددين في شهاداتكم).

وتأمر الآيتان باحترام غير مشروط لقيم القسط والعدالة، حتى لو كان الحكم صادرًا ضد من يحكم أو ضد أحد من أقاربه بخاصة، يتساوى في ذلك الأغنياء والفقراء، أو حتى الأعداء الذين

ننفر منهم ونكرههم لسبب أو لآخر. يوضح لنا تأكيد القرآن على قيمة القسط أهمية الميثاق الأخلاقي الذي يحترم المساواة والإنسانية لكافة البشر.

يمكننا إذًا أن نفسر مفهوم القوامة في الآيتين على أنه الحاجة الملحة لتحقيق العدالة، التي يجب أن تستقر في قلوب المؤمنات والمؤمنين وضمائرهم. وتعد تلك القوامة، أو ذلك الالتزام الداخلي بالعدل والقسط، من أهم ما تحث عليه رسالة القرآن. هذا هو المعنى الحقيقي لكلمة "قوامة"، الذي يتطلب الوعي الأخلاقي العادل وتوخي القسط في الشهادة.

إن العدل والقسط من أبرز سمات الإسلام، وهما الرسالة الروحانية التي تذكرنا دومًا بالقيم التي تمثل الأبعاد المتأصلة لوعى الرجال والنساء بدينهم. ويجب أن تتضمن المناهج الدراسية والتربية الدينية للمسلمين والمسلمات تلك القيم التي يدعو إليها القرآن ومنها القوامة بالقسط، فنحن نؤدي الصلاة خمس مرات في اليوم، ونصوم رمضان، ونحفظ القرآن، ولكن تبقى القوامة بالقسط غائبة عن حياتنا اليومية وسلوكياتنا. وقد أدى ذلك إلى إحداث هوة كبيرة بين السلوك الديني والمجال الأوسع للأخلاقيات الإسلامية، وهي هوة تزداد عمقًا يومًا بعد يوم في شتى أنحاء العالم الإسلامي، ويبدو معها أن عظمة الرسالة الربانية وسموها يصبحان مجرد تراث ديني شكلي.

ثمة حديث مرفوع عن النبي يقول إن "عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة" (أبى النعيم، لا يوجد تاريخ، ص ١١٧). كما تكشف الآيتان ١٣٥ من سورة "النساء" و٨ من سورة "المائدة" عن مفهوم للقوامة العامة يتطلب من الرجال والنساء اتباعه على حد سواء في حياتهم على الأرض، وهو بُعد روحاني محوري في القيم الإسلامية.

القوامة في المجال الخاص، أو القوامة الخاصة

تورد معظم ترجمات الآية ٣٤ من سورة "النساء" الإنجليزية كلمة "قوامون" أنها صورة لـ "سلطة" أو "إدارة": أن للرجال سلطة على النساء، أو أن الرجال منوط بهم إدارة شؤون النساء"، وهو ما نكاد نجده في التفاسير القديمة والمعاصرة جميعها. تفسر كافة التفاسير القديمة القوامة أنها امتياز أُعطى للأزواج، منحة ربانية مسبغة على الرجل، بل على الرجال كافة. وقد فسر معظم المفسرين

مفهوم "قوامون" أنه من البديهي والمتأصل أن يكون للرجل "الرئاسة" على المرأة، أي يكون "كبيرها" أو "الحاكم عليها"، أو له الحق في أن يكون "مؤدبها إذا اعوجت".[٢٠]

وقد دفع مفسرون آخرون مثل ابن عباس بفكرة تحكم أو تسلط الرجال "على أدب النساء".[٢١] كما أورد الزمخشري (لا يوجد تاريخ، المجلد الأول، ص ٤٤١–٢) أن للرجال الحق أن يكونوا "مسيطرين عليهن" في مجالات الحياة الاجتماعية كافة. كما ذهب بعض المفسرين مثل ابن القيم الجوزية (١٩٩١، المجلد الثاني، ص ٦٧) إلى أبعد من ذلك، إذ قارنوا الزوجة بالأسيرة أو الأَمَة التي ينبغي أن تبقى قيد سلطة الزوج المطلقة.

وقد اتفق المفسرون على أن عبارة "بما فضل" تعني تفضيل الرجال على النساء، حتى فيما يتجاوز دورهم بوصفهم أزواجًا، وأن تلك ميزة أسبغها الخالق عليهم. أما الجزء الثاني من الآية "بما فضل الله بعضهم على بعض" فقد شاع فهمه أن الله يفضل الرجال على النساء، أو تأكيد على تفوق الرجال جميعهم على النساء جميعهن.

ويرد في هذا التفسير نفسه، كما في معظم التفاسير الأخرى، تبريرًا لتفوق الرجال يأتي مدعومًا بمجموعة من الصفات التي تجعل الرجال أفضل من النساء بأحكام مسبقة. ونعرض هنا لبعض أمثلة هذه الطروح التي نجدها في معظم التفاسير التقليدية:

- يتمتع الرجال فطريًا بعقول أرجح من عقول النساء، كما أن عقول النساء معيبة، نظرًا لإفراطهن في النزعة العاطفية، وجنوحهن نحو حل المشكلات باستخدام العاطفة وليس المنطق.
- لا يشغل المناصب ذات المسؤولية السياسية والقضائية الكبرى سوى الرجال، مثل مناصب: القيادة العليا، والإدارة، والقضاء. ولا يؤم الصلاة أو يلقي خطب الجمعة أو يقوم بالشهادة أو يؤذن للصلاة سوى الرجال.
- اقتصر بعث الأنبياء على الرجال دون النساء. يشن الرجال الحروب ولهم الحق في جني الغنائم. يمثل نصيب الرجال من الميراث ضعف نصيب النساء.

[٢٠] راجع تفسير ابن كثير (Ibn Kathir) (٢٠٠٣، المجلد رقم ١، ص ٦٠٥) لتفسير الآية ٣٤ من سورة "النساء": "الرجل قوام على المرأة، أي هو رئيسها وكبيرها الحاكم عليها ومؤدبها."

[٢١] راجع تفسير ابن عباس (Ibn Abbas) للآية نفسها في الرازي (al-Razi) (٢٠٠٤).

يدفع الرجال الصداق لزوجاتهم. ويتمتع الرجال بقوة جسمانية أعظم من قوة النساء. كما يمكن أن يقوم الرجال بالولاية على النساء وليس العكس. تعدد الزوجات أحد حقوق الرجل وهو دليل على تفوقهم. كما أن للرجال فقط حق التطليق من جانب واحد.

- الرجال مؤهلون لتحصيل العلم والمعرفة والحكمة أكثر من النساء. ويعد ضعف النساء المتأصل صفة طبيعية فيهن، وذلك بسبب تكوينهن الجسماني والبيولوجي.[٢٢]

تلك بعض الأمثلة على الأسباب أو الدلائل التي بَنى عليها المفسرون طروحاتهم التأسيسية لتفوق الرجال البديهي على النساء. وقد كانت تلك هي الطريقة التي استخلص بها المفسرون القدامى فكرة دونية النساء المتأصلة، وأن قوامة الرجال على النساء ليست سوى تأكيد من القرآن على كل هذه الافتراضات.

ما من شك في أن الآية ٣٤ من سورة "النساء" هي الآية التي تَشكل على أساسها نموذج الأسرة في الإسلام. وقد استخدم هذا المفهوم الذي أخذ أنه يمثل حقوق الرجال على النساء في قراءة آيات القرآن كلها وفهمها، أو على الأقل تلك الآيات المتعلقة بالنساء.

وقد اعتبرت الآية أمرًا يخلع على الرجال الحق في أن "يترأسوا النساء" وذلك بما منحوا من سلطة مادية ومعنوية مطلقة. ويجب على النساء طاعة هذه السلطة الذكورية وذلك مقابل إنفاق أزواجهن عليهن. وترتبط هذه الفكرة بمنطق عقد الزواج الذي يؤكد على أن للزوج كافة الحقوق على زوجته التي تنتمي إليه جسدًا وروحًا شأنها شأن أية ممتلكات أخرى، طالما يوفر لها الزوج النفقة أو الإعالة المالية (أنظر مير–حسيني (Mir-Hosseini) في هذا الكتاب). وقد أنتج ذلك المفهوم لفكرة القوامة وما يصاحبها من طاعة كمًا كبيرًا من الكتابات الدينية يقلل من قيمة النساء طالما تسبب في تعطيل إعمال روح رسالة القرآن التحررية في المجالين الاجتماعي والقانوني فيما يتعلق بالنساء ومكانتهن في الزواج والعائلة.

[٢٢] ترد هذه العبارات في كتابات مفسرين مثل الطبري (al-Tabari) (٢٠٠٢، المجلد ٤، ص ٧٩)، وابن كثير (٢٠٠٣، المجلد ١، ص ٦٠٥)، والقرطبي (al-Qurtubi) (٢٠٠٧، المجلد ٣، ص ١٥٢). ولن أعلق على الطروح السخيفة التي تقول إن الرجال أعلى شأنًا من النساء بفضل لحاهم وعماماتهم. راجع أبوبكر (Abou-Bakr) في هذا الكتاب.

وهكذا أصبح من المألوف أن نقرأ كتابات دينية تقول إن طاعة الأزواج هي طريق النساء إلى الجنة، وهو ما يتعارض مع أحد المبادئ المؤسسة في الإسلام، وهو أن الطاعة والخضوع لا يكونان سوى لله، كما يتعارض مع وحدانية الله التي تمثل الفكرة العظمى التي بنيت عليها أبعاد رسالة الإسلام الروحانية (ودود (Wadud) ٢٠٠٩، في هذا الكتاب).

وقد ظهر هذا التفسير لفكرة القوامة وتطور وسط سياقات سياسية كانت تهدف إلى غايات بعيدة كل البعد عن الغايات التحررية التي أتت بها رسالة القرآن. فمثلًا نجد أنه على الرغم من أن الآيات ١٧٧ من سورة "البقرة" و١٣ من سورة "البلد" و٦٠ من سورة "التوبة" تحض المؤمنين على عتق العبيد وبخاصة النساء جاعلة من ذلك عملًا صالحًا، فإننا نجد أنه بعد وفاة الرسول بفترة قصيرة أثناء الغزوات الإسلامية كان امتلاك الجواري إحدى علامات سلطان الحاكم. وقد ظهرت أفكار الفقهاء الخاصة بتفسير مفاهيم مثل القوامة في ظل تلك السياقات الاجتماعية الجديدة حيث كانت الجواري كثيرات في قصور الحكام، وحل الاستبداد محل الشورى. وهكذا فقد تمت صياغة مفهوم القوامة سواء عن طريق الضغوط الاجتماعية الأبوية من ناحية أو الاستبداد السياسي من ناحية أخرى، وفق مطالب الطبقة الحاكمة، ذلك أن سلطة الرجل كانت متصلة اتصالًا واضحًا بسلطة الحاكم.

ولأن نظام الحكم كان في ذلك الوقت استبداديًا وتسلطيًا، فقد أضحت مفهوم القوامة بالتبعية مرادفاً "للاستبداد" داخل الأسرة، وهو لفظ يصادفنا كثيرًا في التفسيرات التقليدية لمفهوم القوامة. وهكذا فقد انعكست بداية التسلط الذي تبدَّى في أعلى المستويات السياسية على المستوى الأسرى، حيث كان من الطبيعي أن تغرز الزوجة الخاضعة لسلطة زوجها في ذريتها التقبل التام لتلك السلطة وبالتالي لسلطة الحاكم السياسي. إذ كان الاثنان وجهان لعملة واحدة وكانا يعتبران كذلك مستمدين من الأمر الإلهي.

ولكن كلمة "قوامون" والتي شاع خطأ تفسيرها أنها تعني السلطة، تعني في الحقيقة المنفق أو المعول عليه في سياق هذه الآية. تقول بقية الآية "وبما أنفقوا"، مما يعنى أن الرجال قوامون بسبب استخدامهم لممتلكاتهم في دعم زوجاتهم واحتياجات عائلاتهم والإنفاق في هذا المجال.

هذا هو أحد المفاهيم القرآنية المحورية الذي يجب أن نوضحها جيدًا حتى نحقق فهمًا أفضل لكافة المبادئ التي تتولد عنها. ويتعلق المفهوم بامتياز تحصل عليه النساء فيما يختص بنفقات أسرهن. وتأتي الآية متسقة مع السياق الثقافي العام الذي كان سائدًا وقتها حيث كانت المسؤولية المادية داخل العائلة تقع على عاتق الزوج، الذي كان يعتبر بالتبعية رأس العائلة في كافة الحضارات القائمة وقتها.

ويشيع تفسير بقية الآية "بما فضل الله بعضهم على بعض" أن ذلك يشير إلى الامتيازات التي فضل الله بها بعضهم (الرجال) على بعض (النساء). ولكن الفهم الحرفي للجملة يقول إن ذلك يشير إلى الامتيازات التي فضل الله بها أحدهم على الآخر" (أي دون تحديد الجنس). أي إن الله قد وهب بعض الرجال والنساء امتيازات على بعض الرجال والنساء. ولو أن الآية كانت تقصد تحديد الجنس لكانت جاءت كالتالي 'بما فضل الله بعضهم على بعضهن'. وكما أوضح محمد عبده، فإن هذه الآية تقول إن بعض الرجال مفضلون على بعض النساء، وأن بعض النساء مفضلات على بعض الرجال، وهو ما يدل على الأفضلية المتبادلة بما يتفق مع روح القرآن الداعية إلى العدالة، بما يتفق مع واقع المجتمعات الإنسانية (رضا (Reda) ١٩٩٩، المجلد الخامس، ص ٥٥).[٢٣]

ولو أننا وضعنا الآية في سياقها وقرأناها في ضوء آيات ومفاهيم أخرى متعلقة بالزواج كما وصفه القرآن، لوجدنا أن القوامة في الواقع ليست امتيازًا منحه الله للرجال، ولكنها واجب يتمثل في اضطلاع الزوج بالمسؤولية الأخلاقية والمادية التي تلزمه بتوفير احتياجات زوجته وأسرته. إذن ليست القوامة تشريفًا بل هي تكليف، وهو الفهم الذي يتعارض مع ادعاءات التفسيرات الأبوية التي تدفع بتميز الرجال الفطري.

وقد وضع سيد قطب (٢٠٠٨) هذا المفهوم في إطار مؤسسة الزواج التي تدعم فكرة القوامة الخاصة،[٢٤] قائلًا إنه يجب قراءة الآية في ضوء المؤسسة الزوجية، مؤكدًا أن الفضل الممنوح

[٢٣] راجع أبوبكر في هذا الكتاب لمطالعة قراءة نقدية لتفسير عبده لهذه الآية، حيث ترى أبوبكر أن المفسرين الحداثيين قد أسسوا لمفهوم غير مساواتي للقوامة.

[٢٤] يقدم سيد محمود حسين فضل الله (Sayed Mahmoud Hussein Fadlallah) (لا يوجد تاريخ) طرحًا مماثلًا في تفسيره لهذه الآية في كتاب من وحي القرآن: سورة النساء (ص ٣٤-٥).

للأزواج يرجع إلى المسؤولية المالية الواقعة على عواتقهم، ومؤكدًا في الوقت ذاته على أن الأمر لا يتعلق بطاعة الزوجة بل بالاحترام المتبادل بين الزوجين. ولهذا يقول قطب "في سبيل تنظيم المؤسسة الزوجية وتوضيح الاختصاصات التنظيمية فيها لمنع الاحتكاك فيها بين أفرادها، بردهم جميعًا إلى حكم الله لا حكم الهوى والانفعالات والشخصيات– يحدد أن القوامة في هذه المؤسسة للرجل." (قطب ٢٠٠٨، ص ٦٤٩).

ويرى بعض المفسرين المعاصرين مثل عبده ومحمد شلتوت أن هذا المفهوم يمثل التزاما إضافيًا على الرجال، حيث أوكلت القوامة للزوج ليس بسبب جنسه، ولكن لقدرته على إدارة المنزل والإنفاق عليه فحسب، وهو ما يعنى أنه في حالة تولي الزوجة هذه الوظيفة الإدارية والإعالية، كما يحدث في الكثير من المجتمعات الحديثة، فيحق للزوجة ممارسة تلك القوامة. وهكذا فالقوامة ليست حكراً على الرجال.

ولو أردنا تفكيك الخلط في المعاني المحيطة بقوامة الرجال، لوجدنا علينا أولًا أن نحصر المفهوم في نطاق الأسرة. تتمثل المسؤولية المادية الملقاة على عاتق الرجال في إدارة أمور المنزل، وهي مقصورة على هذا الجزء من الحياة الزوجية بالذات. والأسرة النووية هي مجال تفعيل القوامة الخاصة، وليست لها علاقة بالمجال العام أو الاجتماعي– السياسي، ويقول القرآن بضرورة إدارته من قبل الرجال والنساء بحسب معيار إقامة العدل والقسط. ثانياً، علينا تحليل القوامة الخاصة وفهمها من داخل الإطار المعياري للعلاقات الزوجية كما يصفه القرآن، وكما يتماشى مع القيم التي أقرها القرآن للزواج. ولن يكون بوسعنا شرح آية القوامة شرحًا موضوعيًا إذا لم نأخذ في الاعتبار النص القرآني ككل، وكذلك كافة الآيات المتعلقة بالنساء التي تأمر بالمساواة وتدعم استقلاليتهن التي كانت أمرًا بعيدًا كل البعد عن أذهان الناس وقت الرسالة.

وهكذا علينا قراءة القوامة في ضوء العلاقات بين الرجال والنساء، وأيضًا في ضوء مفاهيم مثل "المعروف" (أي الخير العام)، الذي يرد ذكره في أوامر ونواهٍ مختلفة موجهة للرجال مثل تلك التي تنظم الحياة الزوجية والطلاق والرضاعة والتعايش المجتمعي، ودائمًا ما تأتى بهدف تعديل سلوك الرجال الاجتماعي تجاه النساء بلفت الانتباه لهذا المبدأ الأخلاقي المتمثل في المعروف (المتوخي العدالة) كأحد المبادئ الأساسية للعلاقة بين الرجال والنساء.

ترد كلمة "معروف" عدة مرات في القرآن،[٢٥] بينما لا ترد كلمة "قوامة" على الإطلاق، فيما ترد كلمة "قوامون" التي تشتق منها كلمة "قوامة" مرة واحدة فقط فيما يتعلق بالعلاقات الزوجية. ولكننا نجد أن القوامة قد اتخذت أهمية مبالغا فيها في الفكر العربي الإسلامي لو قارناها بمفهوم "المعروف" الذي يغيب عن الذكر في معظم الأحيان.

علينا كذلك أن نفهم القوامة الخاصة ضمن الآيات الأخرى التي تتناول الحياة الأسرية مثل تلك التي تحث الأزواج والزوجات على تحمل المسؤولية معًا ومساعدة بعضهم "بعضهم أولياء بعض" (سورة "التوبة" الآية ٧١)، و"مودة ورحمة" (سورة "الروم" الآية ٢١)، وعلى وجه الأخص التناغم والتشاور المتبادل "تراض" و"تشاور" (سورة "البقرة" الآية ٢٣٣). كما يمثل العدل قيمة قرآنية ملزمة أخرى، وهي قيمة يعلي النص القرآني شأنها في مواضع كثيرة بوصفها شرطًا لا غنى عنه في كافة العلاقات الإنسانية.

ولو أننا أعدنا مفهوم القوامة لسياقه داخل مؤسسة الزواج تبعًا لتلك المبادئ القرآنية، كيف لنا عندئذ أن نتقبل الطروح القائلة بسلطة الزوج المطلقة وطاعة الزوجة العمياء؟ كيف لنا وقتها أن نتقبل التبريرات المبنية على دونية النساء وضعفهن الطبيعي، أو أن نتقبل النظريات–التي لا تزال رائجة في الفكر الإسلامي المعاصر– التي ترى كافة النساء مخلوقات مجردة من العقل ليس لهن رسالة في الحياة سوى "إرضاء" الزوج؟ كيف لنا أن نقيم تلك الطروح التمييزية في ضوء مطالبة القرآن بالعدالة والالتزام بالتعاون الأسري والمسؤولية المشتركة والحب والكرم والتضحية المتبادلة؟

ليست القوامة سلطة ممنوحة للزوج، بل هي مسؤولية والتزام وواجب على الرجال– الأزواج والآباء وغيرهم– يلزمهم الإنفاق على بيت الزوجية، وهو بنية أسرية موجودة في معظم الثقافات منذ قديم الأزل، وأن يلبوا احتياجات أسرهم وأقاربهم المحتاجين. ويعد انخراط الرجال في إدارة المنزل وسيلة من وسائل تحقيق التوازن في بعض المهام التي يضطلع بها الزوجان، حيث يمكن

[٢٥] الآية ١٧٨ من سورة "البقرة"، الآية ١٨٠ من سورة "البقرة"، الآية ٢٢٨ من سورة "البقرة"، الآية ٢٣٢ من سورة "البقرة"، الآية ٢٣٣ من سورة "البقرة"، الآية ٢٣٤ من سورة "البقرة"، الآية ٢٣٦ من سورة "البقرة"، الآية ٢٤١ من سورة "البقرة"، الآية ١٠٤ من سورة "آل عمران"، الآية ١١٠ من سورة "آل عمران"، الآية ١١٤ من سورة "آل عمران"، الآية ٦ من سورة "النساء"، الآية ١٩ من سورة "النساء"، الآية ١٥٧ من سورة "الأعراف"، الآية ٦٧ من سورة "التوبة"، الآية ٧١ من سورة "التوبة"، الآية ١١٢ من سورة "التوبة"، الآية ٤١ من سورة "الحج"، الآية ١٧ من سورة "لقمان".

النساء، وبخاصة أولئك اللاتي في سن الإنجاب، من تربية أطفالهن دون أعباء. ويعد هذا الأمر اليوم نسبيًا، لأنه بالرغم من التطور الذي طرأ على مشاركة النساء في الحياة العامة، فإن قضية اقتسام الواجبات العائلية لا تزال محل خلاف.

ومن المهم هنا الإشارة إلى أنه ما من آية قرآنية توكل مهامًا أو وظائف معينة داخل المنزل لأحد الجنسين، على الرغم مما يعتقده الكثير من المسلمين. ما من آية واحدة تذكر أن العمل المنزلي واجب على النساء دون الرجال. يروى البخاري (١٩٨٧، المجلد الأول، ص ١٥٩) حديثًا عن أنه حينما سئلت عائشة زوجة النبي (صلى الله عليه وسلم) عما كان النبي يعمل في بيته، أجابت بأنه كان يخدم أسرته وحينما يحين وقت الصلاة يقوم ويصلي. وفي أحاديث مماثلة رواها الإمام أحمد والإمام ابن حبان، أن عائشة قالت إن النبي كان يقوم بالأعمال اليومية البسيطة مثل خياطة الملابس وإصلاح الأوعية وحلب الماشية وخدمة الأسرة (قدير (Kodir) ٢٠١٢). كان هذا هو سلوك من يطبق القوامة داخل أسرته في حين أنه رسول مبعث من الله، حيث كانت قوامة الرسول متمثلة في خدمة أسرته، ولم تكن تسلطًا، ناهيك عن كونها استبدادًا، وكان النبي يحاول في حياته اليومية أن يطبق ما تعلمه من رسالة الوحي– ومنها أن المساواة أمام الله تعني بالضرورة المساواة بين البشر، رجالًا ونساءً، في حياتهم اليومية.

ويؤكد القرآن من خلال مفهوم القوامة على مسؤولية الأزواج المالية تجاه الأسرة وبالأخص خلال الفترات التي تشهد النساء ضعفًا جسديًا– مثل فترات الحمل والنفاس والرضاعة– التي يحتجن فيها إلى الدعم المعنوي والمادي. وتتمثل روح القرآن في أهمية توفير الظروف الملائمة لحماية من هم في مواضع الضعف، بما في ذلك النساء في ظروف معينة، وكذلك الأطفال وكبار السن.

ويتقاطع ذلك في مواضع كثيرة مع بعض مطالب النسويات وحقوق الإنسان المعاصرة التي تدعو إلى مساواة حقيقية بين الرجال والنساء. تتطلب المساواة الموضوعية أن تكون الفرص متاحة بشكل مساواتي أمام النساء في كافة مجالات الحياة، وهو ما يتضمن الدعم الإضافي في مواقف معينة مثل الأمومة والصحة الإنجابية، ضمانًا لتحقيق المساواة على أرض الواقع (المرصد الدولي لمنطقة آسيا والمحيط الهادي لحقوق النساء International Women's Rights Action Watch) (IWRAW) Asia Pacific)، ٢٠٠٩، ص ٤). يمكننا إذاً اعتبار القوامة بوصفها بنداً إضافيًا يضمن للزوجة الأمان المعنوي والمادي في حياتها الزوجية جراء المسؤوليات الواقعة عليها.

ملاحظات ختامية: "القوامة بالقسط"

يتعين تفسير مفاهيم: الاستخلاف، والولاية، والقوامة في القرآن مجتمعة أنها تعنى "القوامة بالقسط"، حيث تجسد تلك المفاهيم الثلاثة المحورية رسالة الإسلام الروحانية، ومسؤوليات النساء والرجال المشتركة في هذه الحياة: إدارة شئون العالم، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإقامة العدل. ومن خلال دورنا بوصفنا خلفاء لله، يضطلع كل إنسان بمهمة ومسؤولية في إدارة الحياة على الأرض، وهو ما يؤسس للمساواة بين الرجال والنساء. وهنا يشير مفهوم الولاية إلى المسؤولية العامة التي تقع على كواهل النساء والرجال على حد سواء، التي تتطلب منهم فعل الخير ودرء الضرر. أما القوامة فتعنى المسئولية المعنوية والالتزام بالعدل والقسط في أفعالنا. وعليه فلا يسعنا أن نفهم فكرة القوامة الخاصة أو الولاية الخاصة أو أي مفهوم يرد في القرآن محددًا بسياق ما، أو أن نضع أسسًا مطلقة في التعامل معه، ما لم نُرجع تلك المفاهيم إلى هذه المبادئ الثلاثة الجامعة الشاملة.

يمثل اختصار مفهوم الولاية في وصاية الرجال على من يعولونهم أو القوامة، على افتراض سلطة للزوج، انتهاكًا لمبادئ رسالة القرآن الروحانية فيما يتعلق بأمور الزواج والحياة الأسرية. يجب ألا ننسى أن معاني المبادئ القرآنية تتطور مع مرور الزمن، وبخاصة أن القرآن لم يقدم أدوارًا محددة للرجال والنساء. وقد حان الوقت في ظل السياق الاجتماعي المعاصر أن نستعيد مفهوم الولاية في القرآن بوصفه مبدأ يشدد على التشارك المسؤول والبنَّاء من جانب النساء والرجال في تسيير أمور المجتمع، وأن نفهم القوامة بوصفها جزءًا من المسؤولية المشتركة التي يتحدث عنها القرآن في مفهومه للزواج.[٢٦]

ينبغي إصلاح المفاهيم والمبادئ الفقهية التي تنظم العلاقات والحقوق بين النساء والرجال في المجتمعات المسلمة المعاصرة، مثل مفاهيم القوامة والولاية، بغية الوصول إلى قيم القرآن الجوهرية. ويستتبع ذلك بالضرورة القضاء على السلطة الأبوية والتراتبية المبنية على الجندر حتى يتسنى لنا استكشاف وحدانية الله وخضوع الإنسان له وتحقيق مشيئته على الأرض. لكي تتحقق رؤية القرآن لمفهوم الإنسان والوجود الإنساني يتعين أن تتحقق المساواة والعدل للرجال والنساء كافة.

[٢٦] يفسر لنا ذلك السبب الذي جعل قانون الأسرة الصادر في العام ٢٠٠٦ في المغرب (المدونة) يحل فكرة المسؤولية المشتركة محل الفكرة القديمة القائلة بأن "الرجل هو رب الأسرة"، ويضع الأسرة قيد الإشراف المشترك من قبل الزوجين.

مراجع:

Abi Ennaim. n.d. *Fadilatu al-Adilin Mina el Wulat al-'Adilin*. Riyadh: Dar Alwatan.

Aboû Chouqqa, Abd al-Halim. 2007. *Encyclopédie de la Femme en Islam*. Paris: Editions al Qalam.

Al-Bukhari, Imam Abu 'Abdullah Muhammad bin Isma'il. 1987. *Mukhtasir Sahih al-Bukhari* (Translation of the Meanings of the Summarized Sahih al-Bukhari). Medina: Dar-al-Islam.

Al-Jawziyyah, Ibn al-Qayyim. 1991. *I'lam al-Muwaqqi'in 'an Rabb al-'Alamin.* Beirut: Dar al-Kotob al-Ilymiyah.

Al-Qaradawi, Yusuf. 1998. *Min Fiqh al-Dawla fi al Islam*. Cairo: Dar al-Shorouk.

Al-Qurtubi. 2007. *Al Jami' li-Ahkam al-Qur'an*. Cairo: Dar al-Hadith.

Al-Razi, Muhammad ibn 'Umar Fakhr al-Din. 2004. *Al-Tafsir al-Kabir*. 32 vols. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmya.

Al-Tabari, Abu Ja'far ibn Jarir. 2002. *Jami' al-Bayan fi Ta'wil ay al-Qur'an*. Beirut: Dar Ibn Hazm.

Al-Zamakhshari, Mahmud ibn 'Umar. n.d. *Tafsir al-Kashaf*. Cairo: Maktabat Misr.

Diagne, Souleymane Bachir. 2008. *Comment philosopher en Islam?* Paris: Editions du Panama.

Ezzat, Heba Raof. 2000. 'Al-Qiwamah bayna al-Sulta al-Abaweya wa al-I'idara al-Shureya'.

Fadlallah, Muhammad Hussein. n.d.a. 'The Role of a Woman I'. http://english.bayynat.org/WomenFamily/woman1.htm

Fadlallah, Muhammed Hussein. n.d.b. 'Min Wahy al-Qur'an, Surat an-Nisa 34–35'. http://arabic.bayynat.org/HtmlSecondary.aspx?id=5770

Ibn Kathir, Abu al-Fida 'Imad al-Din Isma'il ibn 'Umar. 2003. *Tafsir al-Qur'an al-'Azim*. Cairo: Dar al-Hadith.

IWRAW Asia Pacific. 2009. 'IWRAW Asia Pacific Knowledge Portal: Convention on the Elimination of All Forms of Discrimination against Women (CEDAW)'. http://www.iwraw-ap.org/convention/doc/cedaw.pdf

Kodir, Faqihuddin Abdul. 2012. 'Straightening the Culture of Interpreting Hadith about Women: Hadith Dirasah 24th Edition'. http://www.rahima.or.id/index.php?option=com_content&view=article&id=945

Kuftaro, Ahmed. 2002. 'Interpretation of *Surat at-Tawbah* 71–73'. http://www.kuftaro.net/arabic/activity1.php?activity_no=4%20&%20act_no=%204

Laroui, Abdellah. 2008. *Al Islah wa lal-Sunna*. Casablanca: Al-Markaz al-Arabi al-Thaqafi.

Masud, Muhammad Khalid. 2013. 'Gender Equality and the Doctrine of *Wilaya*'. In *Gender and Equality in Muslim Family Law: Justice and Ethics in the Islamic Legal Tradition*, edited by Ziba Mir-Hosseini, Kari Vogt, Lena Larsen and Christian Moe, pp. 127–54. London: I.B. Tauris.

Mernissi, Fatima. 2010. *Islam and Democracy*. Paris: Editions Albin Michel.

Qutb, Sayyid. 2008. *Fi Zilal al-Qur'an*, vol. 2. Cairo: Dar al-Shorouk.

Reda, Imam Mohammed Rachid. 1999. *Tafsir al-Qur'an al-Hakim, Tafsir 'il Manar'*, vol. 5. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmya.

Wadud, Amina. 2009. 'Islam Beyond Patriarchy through Gender Inclusive Qur'anic Analysis'. In *Wanted: Equality and Justice in the Muslim Family*, edited by Zainah Anwar, pp. 95–110. Petaling Jaya: Musawah.